

Literatur in den Sprachen Berlins 2023

Haneen Naamneh

»Wednesday«

Im arabischen Original

أربعاء

حنين نعامنة

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَا فِي مَسْجِدِ
الْفُتُوحِ ثَلَاثًا يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الثَّلَاثَاءِ وَيَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ فَاسْتُجِيبَ لَهُ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ بَيْنَ
الصَّلَاتَيْنِ [أي بين الظهر والعصر] فَعُرِفَ الْبَشْرُ فِي وَجْهِهِ، قَالَ جَابِرٌ: "قَلَّمَ يَنْزِلُ
بِي أَمْرٌ مُهِمٌّ غَلِيظٌ إِلَّا تَوَخَّيْتُ تِلْكَ السَّاعَةَ فَأَدْعُو فِيهَا فَأَعْرِفُ الْإِجَابَةَ."

"بالطول بالعرض.. شميدت¹ تهز الأرض"

يُغْمِضُ عَيْنِيهِ.. أَلْمَانِيَا تَضْرِبُ الْأَرْضَ بِحَافِرِ فَرَسِهَا. خِيَالَهُ أَوْجَزُ مِنْ جَمْحَةِ فَرَسٍ
فِيَفْتَحُ عَيْنِيهِ بِمَلَلٍ وَيَمُدُّ عُنُقَهُ نَحْوَ النَّافِذَةِ غَيْرِ مَكْتَرِثٍ كَمَنْ يَعْرِفُ مَا سِيرَى.. طِفْلَاتُ
بِمَرَايِيلِ مَدْرَسِيَّةٍ رَمَادِيَّةٍ يَضْرِبْنَ الْأَرْضَ بِأَقْدَامِهِنَّ فَيَمَا يَهْتَفْنَ تَمَجِيداً بِمَدْرَسَتِهِنَّ.

كَنَّ أَزْوَاجاً وَثَلَاثاً وَأَرْبَعاً مِنَ الْهَاتِفَاتِ..

تَقْطَعُ مَسْجَلَةَ سَيَارَةٍ لَا يَرَاهَا تَمْرٌ تَحْتَ النَّافِذَةِ سَيْلِ الْمَرَايِيلِ الْمَتَطَايِرَةِ فِي الشَّارِعِ..
صَوْتُ مُحَمَّدٍ عَسَّافٍ يَلْعَلُ "يَا طَيْرَ الطَّيْرِ رَرَر.."

تَطِيرُ الْمَرَايِيلُ حَمَاماً مَتَخِماً كَسَوَلاً يَحِطُّ عَلَى حَافَةِ شَبَاكٍ مَكْتَبِهِ دُونَ صَوْتِ.

إنها الظهيرة إذًا.

¹ مدرسة ألمانية للبنات أقيمت في القدس عام 1886. تقع في شارع نابلس بمحاذاة باب العامود، البوابة الرئيسية للبلدة القديمة.

الساعة الرقمية في أسفل الشاشة أمامه تشير فعلاً إلى الواحدة والثلاث. بعد بضع دقائق ستبدأ جوقة أبواق الباصات الخارجة من المحطة المتاخمة لعمله.
"هل أنت جاهز؟" يسأل نفسه دون صوت أيضاً.

كان صوته ليكون غريباً لو أنه قالها بصوت عالٍ فهو لم يحدث أحداً منذ الصباح.. يحدث هذا كثيراً في الفترة الأخيرة. لا حاجة للكلام.. كل شيء اليوم على الإيميل.

كان في بداية توظيفه يذهب إلى غرفة مديرتة ليرد على إيميلاتها الطويلة. ولكن سرعان ما فهم أن الأمور لا تسير على هذه الشاكلة.. الصاع بصاعين والإيميل بإيميلين وثلاثة وأربعة.. كل شيء ببلاش كثر منه.

"عزيزي مراد،

أرجو أن تحضّر عقد المحامي لغاية يوم الاثنين القادم. ورجاءً تحضير نسخة وإعدادها لتوقيعي وإرسال أخرى إلى المحامي لتوقيعها.
تسعدني الإجابة على أيّ سؤال لديك.

تحياتي،
باميلاً"

لكن اليوم الأربعاء.

الظهيرة تجثم على صدر اليوم.
الأبواق تنهر المازّة والحمام يطير ويحط.

أمنيته أن يطير وأن تلوح الشمس وجهه وجسده.

منذ دخل هذا الصباح إلى المكتب وهو يفكر بينه وبين نفسه أن هذا اليوم سيكون يوماً آخر لا يشبه غيره.

أردته أن يكون يوماً آخر.

مللت رؤية نفسك في شاشة الحاسوب وأنت تقرض أظفرك ضجراً. أكلت أظفرك كلها ولم تُبق شيئاً.. فرحت تحلم بالليل بأن أظافر جديدة نمت مكانها وسرعان ما رحت تقرضها كفأر، وكدت أن تدمن الأحلام لإدمانك القرض حتى بدأت تحلم بأنك لنهيك صرت تأكل أصابعك أيضاً، فخفت. خفت مثل الفأر أيضاً. وفي اليوم التالي جاءك الحلم مرة أخرى وتوالى وأنت تقز من نومك صارخاً، فتركض أمك إليك بطاسة الرعبة فتقبلها متمسكاً بها فقط لتتأكد أنك لم تأكل أصابعك. ولم تتم بعدها لأيام ولم تعد تقرض أظفرك في اليقظة أيضاً.

ثم انتهى كل شيء. التعب هدّ جلجامش فنام عن زهرته، وحضرتك لا تنام؟ بلى نمت ونمت وشبعت النوم وذهبت الأحلام، وفي هذه الأثناء طالت أظفرك فعدت تقرضها كجيش من الفئران.

والآن؟ ماذا تفعل في يومك هذا؟

يسجل المواعيد الطارئة ويؤجل كل ما يمكن تأجيله إلى أجل غير مسمى.

يبحث في الإنترنت عن مدرسة شميدت.

يجد صورة لأربع فتيات جالسات يتلّفن حول طاولة صغيرة مليئة بالكتب، وثمة فتاة أخرى تقف على مقربة منهن تطالع كتاباً. مجلسهن حديقة ما.. يبدو أنها حديقة المدرسة. يعرفها هذه الحديقة. يراها كل يوم في ذهابه وإيابه من عمله حيث يمر بمحاذاتها ومع ذلك لم يدخلها البتة.. لأنها للبنات؟ لا يعرف.

المهم أنه هناك الآن.

هناك في العام 1942. حيث لا تنتظر أي من فتيات الحديقة صوب الكاميرا، كل منهن تقرأ في كتابها بتمعن.. واحدة فقط تبتمس ابتساماً من يعرف أن أحداً يصورها. ليست ابتسامتها ما يستوقفه. بل ابتسامته هو التي تنزّ بلهاً واستحياءً في الصور..

الفتاة في وسط الصورة..

أفتت انتباهه لأنها وحدها من يصلها شعاع شمس.. أما الباقيات ففي الظل. يقسم نور الشمس وجهها بخط مستقيم يمر من أعلى الجبين إلى رأس الأنف. كأنما قد طلى أحدهم علامة على وجهها بعث مبين. يبتسم لعبثها. يبتسم كأنما هو من كان خلف تلك العدسة وبتواطؤ لم يتجاوز الثانية تلاقت عين المصور بعين البنت الشقية فحبستهما الكاميرا فيها إلى الأبد.

ابتسم مراد.

ابتسامته باتت تشبه أي حركة أخرى تبدر عنه. يبتسم مثلما يغلق الباب صباحاً ويفتحة مساءً ومثلما يضيء الضوء ليلاً ومثلما يقطع الخضار.. قبل أسبوع حاول أن يبذل ابتسامته لكنه فشل. كان ذلك في مرآة الحمام في العمل، فوعد نفسه أنه سيحاول أن يجرب غيرها في مرآة الحمام في البيت. لكنه نسي.. ومن يومها وهو ناسٍ لاهٍ.

الفتاة جميلة.. لكنه لا ينتبه لذلك.. فهو مشغول في تأمل الضوء الذي يناصف وجهها.

"تصلح لأن تصير مهرجة بتلك العلامة المرسومة على جبينها.. " يفكر مبتسماً، مرة أخرى.

فاذ بستيف يطل من خلف شاشة حاسوبه على المكتب المقابل لمكتب مراد.. مراده معرفة كنه الابتسامه.

يُطفئ مراد ابتسامته ويهز برأسه إلى الأعلى ليطرد ستيف عنه ثم يمينا ويسرة موبخاً نفسه لأنه نسي وابتسم. مراد.. لا تبتسم إلا إذا اضطررت إلى ذلك! وإلا فخلّ عبوسك حاجزاً بينك وبينه. أنت لا تطيقه وذلك مفروغ منه.. حتى لما أشفقت عليه حينما توفيت أمه، فذلك كان لحظياً ومضى. لقد بكى بحرقه على الهاتف أمامك وأخوه يبلغه بالخبر.. وأنت لم تعرف ماذا تفعل. جلبت له كأس ماء وناديت مديرتك.. لم ترسل لها ايميلاً، بل ذهبت إليها بشخصك.

أشفقت عليه نعم، ولكنك تعرف جيداً بأنك كنت سعيداً في ذلك الأسبوع الذي اختفى من المكتب.

عادت الشمس.. الشمس مثل هذه التي تنصب على وجه بنت شميدت المشاكسة. عادت حين ماتت أم ستيف. لم يغلق ستارة النافذة الوحيدة في الغرفة لأنه غير معتاد على الشمس في بلاده. "يحترق ويتلظى بنارها ولا يحبها".. قال بلهجة أمريكية مقهقهاً.

والعمل؟

لا شيء.

ننتظر موت أحدهم لتحضر الشمس.

بلى. تذهب أحياناً إلى الحمام حيث تشق الشمس طريقها إليها دون أن يسدها أحد.. تطوي ظهر كرسي الحمام وتجلس هناك لعشر دقائق متواصلة.. لا يهم أن يأتي طرق من الخارج. ليظنوا ما يشاؤون، هناك حمام آخر في الطابق الفوقي.. من حيث تأتي الإيميلات وتذهب.

تنهض عن مكتبك متجهماً.. لا تبادلہ الابتسامة. تعرف أن ربع ابتسامة فحسب كافية
لأن تعلق في محادثة لا تنتهي معه. أقل من ربع ابتسامة.

لا تبتسم..

تقصد الحمام

حمام شمسيّ "دي لوكس".. وما هي إلا دقائق وانسحبت الشمس منه.

انتهى دوام الأربعاء.

** يُجمع علماء الحديث بأن حديث الدعاء بين الظهر والعصر يوم الأربعاء ضعيفٌ سنداً ولا
يصح الاحتجاج به.

Haneen Naamneh is a writer and researcher, she holds a PhD in Sociology. She co-founded the Iraqi media platform Jummar in 2022, and has recently joined the Jerusalem Quarterly journal as a contributing editor.